الغزل في شعر

"النَّمر بن تولَب العُكْليّ"

د. محمد عبد الكريم مسعود[1]

الملخّص

الأدب –شعراً كان أم نثراً _ صورة صادقة عن حياة المجتمعات ، فإن أردنا التعرُّف إلى تاريخ أمَّة ما ومجريات أحداثها ، فعلينا الاطِّلاع على أدبها، وتذوُّقه ، وتحليل أبعاده.

ولمّا كان العصر الجاهلي يُعدّ من العصور التي كان فيها الأدب و الشِّعر صورة صادقة عن المجتمع ، بعيداً كلَّ البُعد عن التَّكلُّف والتَّصنُّع والتقليد ، جاءت الرَّغبة للخوض في لُجَج الشِّعر الجَّاهلي ودراسة غرضٍ شعريٍّ من أكثر الأغراض تأثيراً في المتلقين مهما اختلفت ميولهم وأهواؤهم ، واخترنا شاعراً مغموراً لم يأخذ حقَّه في الدّرس والتَّحليل وبشكل خاصّ فنّ الغزل عنده ومكانته في نفس الشاعر، ولهذا جاء البحث موسوماً ب الغزل في شعر النمر بن تولب العكلي ، وقد تضمَّن البحث مقدِّمةً مهَّدت له ، وذكرت أهدافه وأهميَّته، ثم قسماً نظريَّاً درسنا فيه الغزل ودلالاته؛ إذ يُعدُّ أصدق فنون الشِّعر وأجدرَها بالدِّراسة ،لأنَّ الغزل الذي جاء بعده كان صدىً له ومحاولاتٍ للسَّير على نهجِه مع بعض محاولاتِ التَّجديد.

[1] كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة – قسم اللغة العربيّة- جامعة الفرات

المقدّمة:

يعدّ الغزل " أصدق فنون الشعر؛ إذ يتّسم بصدق الأداء و التعبير عن الوجدان، وتصوير المشاعر والأحاسيس؛ إذ لم يكن الدافع وراءه ما دفع أصحاب المدح والوصف والهجاء والفخر – فهذه الأغراض غالباً ما يبعثها التملّق – فتُحرم الصدق في المشاعر، والحرارة في العاطفة، والإخلاص في الوجدان ، وتأتي متكلفة المعاني باهتة الصور مصطنعة الأداء . ولا يصدر تصوير المرأة في الشّعر عن مطمعٍ مادّيّ، أو رغبة في مال أو عطاء ، خاصّة العذريّ منه الذي لا يهدف صاحبه من نظمه إلى رغبة في متعة أو لقاء غير مشروع بل يصدر عن تعبير صادق، وعاطفة صافية، ووجدان مخلص يبدو في التّعبير وفي الأداء

من هنا تحدّث البحث عن مكانة الشِّعر في العصر الجاهليّ وتعدُّد أغراضه ، ثمّ تحدّث عن مكانة الغزل في العصر الجاهليّ مروراً بالحديث عن المرأة ومكانتها في الجاهليَّة، و أخيراً ارتباط الغزل بعاطفة الحب لدى الإنسان ، وأتبع القسم النَّظري بقسمٍ تطبيقيٍّ ، تضمَّن تحليلَ أبياتِ غزلٍ منتقاةٍ من ديوان النَّمر بن تولب العكلي بعد استقرائه كاملاً وأخذ ما يناسب هدف البحث وغايته ، وذيّلَ التَّحليل بخاتمة أوجزت أهمَّ النَّتائج التي خَلُص إليها البحث بقسميه النَّظري والتطبيقيّ .

أمَّا أهميَّة البحث فتنبع من كونه بحثاً أصيلاً لشاعرٍ جاهليٍّ مغمور، لم ينل حقَّه بالدِّراسة والنَّقد بعد ، إضافةً إلى إلقاء الضَّوء على المكانة المتباينة للمرأة في الجاهليَّة، وبيان مدى ارتباط عاطفة الحب بغرض الغزل، وذلك شرَحَ لِمَ يُؤثِّر الغزل في كل المتلقِّين والقُرَّاء.

منهجيّة البحث:

لقد وضعتنا الدّراسة أمام منهجٍ رأينا أنّه سبيلنا في هذه الدّراسة وهو المنهج الوصفيّ التّحليليّ المتمثّل في استقراء الصّور في نماذج مختارة من شعره ووصفها والوقوف عندها، وبيان أدواتها وأساليبها؛ الذي مكّننا من تفكيك هذه الصّور، وبيان تقنيّاتها الفنّيّة وصولاً إلى تحديد خيوط النّسيج الفنّيّ في شعره ، ثمّ استجلاء اللمسات الجماليّة ، وبيان وظيفتها الأدائيّة، مبتعدين جهد الإمكان عن العبارات الرّنّانة والتّزويق اللفظيّ الخالي من محتواه الدّلاليّ ملتزمين لغة البحث العلميّة.

الغزل ودلالاته :

الغزل لغةً : "هو حديث الفتيان والفتيات" [1].

ويُراد بالغزل :الشِّعر الذي يصوِّر فيه الشَّاعر شوقه وإحساسه اتِّجاه المرأة سواء كان يحبُّها أم مُعجباً بها، فيصوِّر جمالها وتأثيرها فيه ، وهو أكثر الفنون الأدبيَّة انتشاراً ؛لأنَّ المرأة عضيدة الرَّجل ، وهي منبع سعادته أو تعاسته.

لكن هل الغزل والنَّسيب والتَّشبيب جميعها مفرداتٍ مترادفة تدلُّ على معنى واحد أم لكلِّ مفردةٍ دلالة ؟

كان لأهل الأدب والنُّقاد آراءٌ مختلفةٌ في هذه القضيَّة؛ إذ اتَّفق كلٌّ من ابن سلَّام الجُمحي وابن منظور والزبيدي على أنَّ الكلمات الثَّلاث مُترادفة ، وجاء الغزل والتَّشبيب مُترادفين عند الجَّاحظ حين قال : " فأما الغناء المطرب في الشعر الغزل فإنما ذلك من حقوق النساء ، وإنما ينبغي أن تغني بأشعار الغزل والتشبيب والعشق والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الأشعار ، وبهنّ شبب الرجال " [2]

بينما حاول آخرون التَّمييز بين المفردات الثَّلاث مُعتمدين على ذوقٍ شخصي " النسيب ذكر الشاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل ، وإنما الاشتهار بمودات النساء والصبوة إليهن ، والتشبيب ذكر ذلك والخبر عنه "[3] ،فهنا تمَّ منح دلالةٍ لكلِّ مفردة ، ولم تكن المفردات الثَّلاث مُترادفة .

نرى ممَّا سَبق أنَّ هنالك تضارُباً بين آراء النُّقَّاد القُدماء والمُحدثين ، فمنهم من رأى أن (الغزل ، والتّشبيب، والنَّسيب) مفردات مترادفة ، ومنهم من جعل لكل مفردةٍ دلالةً خاصة ، وليست على ذات السويَّة في المدلول، ونحن إلى الرأي الثَّاني أقرب ؛ لأنَّه من غير المعقول أن تدلَّ هذه المفردات الثَّلاث على شيءٍ واحدٍ دون اختلاف في المعنى ، فكما للحبِّ مراتب ودرجات من الطَّبيعي أن يُعبَّر عن الغزل بمفرداتٍ مختلفة في الدَّلالة والمعنى.

مكانة المرأة في الجَّاهليَّة :

مُنذ وعي الإنسان ووجوده في هذا الكون، أدرك منزِلة المرأة ومكانتها في داخله ، ومدى قوَّة صِلته بها ، وقد مثَّلت المرأة في حياة الرَّجل عُنصر الاستقرار والاطمئنان فهو دائم الحنين إليها ، و في غُربةٍ دونها مُنذ بداية الخلق ومحاولة إرضاء آدم لحوَّاء حتَّى بفعل ما نهاه الله عنه ، وبعد نفيهما إلى الأرض بسبب تناولهما من الشَّجرة التي أمرهما الله بعدم الاقتراب منها، و إنَّ أوَّل ما فعله آدم – بعد نزوله هو وحوَّاء إلى الأرض- هو

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، مج : 4 ، 1997 ، مادة (غ ز ل).

[2] البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط7، 1998،ص 165 .

[3] شرح ديوان الحماسة ، التبريزي ، تح: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، القاهرة ، ط1، 2000، ص 112.

البحث عنها في أرجاء الأرض الواسعة ، للاستقرار بها وعندها ، وقد كان دونها هائماً على وجهه ، ضائعاً يقطع الفيافي بحثاً عن سَكَنه ومَسكَنه.

وقد اكتشف الرَّجل فنَّ التَّغزل بُغية التَّقرب من الأُنثى التي يُعدُّها اللُّغز الغامض الذي لم يقوَ على حلِّه، فعبَّر عمَّا يختلج في صدره من عواطف أشعلتها المرأة بداخله، سواءً بجمالها أم بحُسن معشرها وظرافتها ورقَّتها، وتحدَّث عّلناً عن شوقه وحبِّه ومشاعره المتناقضة في الوصل والهجر، وفي الوعد والخلف ....

إذاً شغلَت المرأةُ الرَّجلَ، وانكبَّ على محاولة إرضائها بأيِّ وسيلةٍ كانت، ورُبَّما كان الشِّعر والأدب أحد الوسائل المُستخدمة لاستمالتها وجذبها .

مكانة الغَّزل في العصر الجَّاهلي :

أدرك شُعراء الجَّاهليَّة فَضْلَ الغزل على الأغراض الشِّعريَّة الأُخرى ، فجعلوه في مُقدِّمات قصائدهم؛ ليستَميلوا الأسماع ويَنفِذوا منها إلى القلوب، ودائماً ما ربطوا آثار الدِّيار بالمحبوبة للدَّلالة على وفائهم لكلا الاثنين ، ورُبَّما عرَّجوا على الحديث عن الوشاة المترقِّبين، واستفاضوا في وصفهم الفراق والصدَّ والخيانة والهجر، وكلَّ المشاعر المُتناقضة التي تعتمل في دواخلهم، وقد وصف الدُّكتور علي بطل مدى هيمنة غرض الغزل على سائر أشعار الجاهليين عندما قال : " إن الثروة الشعريّة كالقطعة الذهبيّة ذات الوجهين :نقش الجاهليون على صفحتها الأولى عواطفهم التي ابتعثها الحب،أما الصفحة الأخرى فقد جمعوا عليها كل أغراضهم الأخرى "[1].

ولكن لِمَ هذا الاهتمام بالغزل ولِمَ لا تكاد تخلو قصيدة منه ؟ ما دلالاته ؟ وما غايته؟

رُبَّما يعود السَّبب إلى رغبة الشَّاعر بشدِّ انتباه السَّامعين واستمالة انتباههم ؛ " لأنّ التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام "[2].

إذاً وجود الغزل في الشِّعر لا يعني دائماً أنَّ قائله تفيض نفسه بالعواطف ، أو ينبض قلبه بالعشق والشَّوق، فلوجودِ الغزل مآرب أُخرى؛ فقد يُستخدم ليؤثِّر في السَّامعين كما أسلفنا سابقاً.

وقد يلجأ الشَّاعر إلى الغزل والنَّسيب لتفتيح قريحته الشِّعرية فيكون وسيلةً لا غاية ؛ فهو عندما يتذكَّر حبيبته وملهمته التي سبته قلبه في يوم من الأيام ، تبدأ العواطف والمعاني والنَّظم يجري على لسانه جرياً ، وهذا ما ذهب إليه ابن رشيق،يقول :

[1] تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، 1959م، ص 3.

[2] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ،2002 م، ص 20.

" إنّ ذا الرمّة سُئل كيف تعمل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقفل الشعر دوني وعندي مفاتيحه، قيل له وعنه سألناك ما هو، قال: الخلوة بذكر الأحباب "[1]

وهنا نجد أنَّ الشَّاعر يخلو بنفسه وخياله وذاكرته مع أحبابه ؛ لتهيج عواطفه ويندفع بنشوته فينظم من الشِّعر ما يشاء بهذا الاندفاع ، وتبعاً لذلك نستنتج أنَّ الغزل في رأي ابن رُشيق وسيلة الشَّاعر لاجتلاب ابداعه وملكاته الشِّعرية وبعثها من مرقدها .

وراح بعض المُحدثين يعبِّرون عن رأيهم في هذه القضيّة ، فرأوا أنَّ الشَّاعر الجَّاهلي أورد القصيدة في مقدِّمات قصائده لأنَّ طبيعة القصيدة الجَّاهليَّة اقتضت هذا القالب ، وهم في رأيهم هذا يُحاولون الوقوف والبحث عمَّا قبل القصيدة الجَّاهليَّة ؛ فكيف كانت القصيدة ؟ وكيف كان هيكلها وقالبها وماهيتها قبل أن تُنظَم بهذا القالب الذي سِيق في الكُتب؟ انتهوا إلى أنَّ وجود الغزل عادة متأصِّلة في شُعراء الجَّاهليَّة .[2]

بعد أن عرَّجنا على الشِّعر الجَّاهلي وغزلِه ومكانة المرأة فيه ، كان حريّاً بنا أن نقف عند بابِ أحد شعرائه ، ونقتحمَ عالمه ونسبرَ أغوارَ قريحته الشِّعريَّة وما جادت به ؛ لتعزيز وتدعيم ما ذكرناه في المَباحث السَّابقة ؛ وليكون شعره خيرَ شاهدٍ على ما ناقشناه في القسم النَّظري ، وقد وقع الاختيار على "النمر بن تولب أحد بني عديّ بن عوف بن مناف بن أدّ وهو عكل "[3].

صنَّفه ابن سلَّام الجُمحي في الطَّبقة الثَّامنة من طبقات فحول الشُّعراء الجَّاهليِّين ، وهو شاعر مُخضرم عاش في الجَّاهليَّة وأدرك الإسلام وهو كبير ودخل فيه ، وقد عاش عُمراً مديداً وكانت حياته التي عاشها في الجَّاهليَّة ضبابيَّة ؛ إذ لم تتحدَّث المصادر القديمة عن حياته إلَّا ما نَدر ، ولكن الحادثة التي كان لها عظيم الأثر في حياته الجَّاهليَّة هي حادثة زوجته جمرة التي هجرته ، و أصلُ قصَّته مع جمرة وزواجه منها : إنَّ أخاه الحارث قد أغار على بني أسد وسبى منهم امرأة يُقال لها جمرة ابنة نوفل ، فوهبها لأخيه النَّمر ، إلا أنَّها لم ترغب بالزَّواج منه والمُكوث معه ، وأجبرَها على ذلك فولدَت منه أولاداً ، وبعد زمن طلبت منه زيارة أهلها لكنَّه خَشي أنَّها لن تعود ؛ فهو يعلم أنَّها مُجبرة على البقاء معه ، فوعدَته أنَّها سترجع إليه فأخذها إلى بلاد بني أسد وما كان منها إلا أن ذهبت إلى منزل زوجها الأوَّل الذي كانت معه قبل أن تُسبى ، وأطالت المُكوث ولم تَخرُج فَعلم أنَّها خدَعته وخانت عهدها [4].

[1] العُمدة في صناعة الشِّعر ونقده ، ابن رُشيق القيرواني ، تح : النبوي عبد الواحد الشعلان ، مكتبة الخزرجي ، القاهرة ، ج1، ط1، 2000م ، ص: 138.

[2] ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، ص 12.

[3] طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تمهيد للناشر الألماني جوزف هل مع دراسة عن المؤلف والكتاب للأستاذ طه أحمد ابراهيم، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، 2001، ص68.

[4] ينظر : ديوان النمر بن تولب العكلي ، جمع وشرح وتحقيق الدكتور محمد نبيل الطريفي ، دار صادر ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 2000 ، ص8,10,11.

كان لمنزِلتها في قلبه وحبّه لها وألمه لفراقها و خداعها له وخِنثها بوعدها عظيمُ الأثر في قلبه ، وانعكست مشاعره على قريحته الشِّعريَّة فتُرجِمت عَبرَ بوحه ، فإن تحدَّث عن الحرب نجده أتى على ذكرها ، وإن ندب الشَّيب الذي غزا رأسه نراه يُقحِمها ، وإن تكلَّم على الحبِّ والعشق تبخترت في ميدان سُطوره وأشعاره غازيةً لكلِّ ديوانه ،ناثرةً سحرها على وجدانه .

ولكن ، أيُّ حُبٍّ هذا وأيُّ تَعلُّق ؟ وهل يمكن أن نُسمِّيه حُبَّاً إن لم يكن مُتبادلاً ما بين الطَّرفين ، هل يُجبر العاشق معشوقه على المُكوث معه ؟ هل من شيم المُحبِّين إكراه من يهيمون بها لمُبادلتهم المشاعر ؟ لا عجب ، فإنَّنا نتحدَّث عن شاعرٍ عاش مُعظم حياته في الجَّاهليَّة ، إذ كان الجَّهل مخيِّم على العُقول ، وكانت بعضُ النِّساء مسلُوبات الحُقوق مُضَطهَدات كما مرَّ معنا في المباحث كلّها ، وكان ذلك قبل أن يأتي الإسلام ويقضي على مظاهر الجَّهل والتَّعنُّت المُسيطِرة على العُقول آنذاك ، إذ منح المرأة حُريَّتها وأعاد لها مكانتها السَّامية ودعا لمكارم الأخلاق .

ولكن رغم عدم التَّكافُؤ بين الطَّرفين وعدم تجاوب جَمرة وتناغُمها مع الشَّاعر ، نجدُ صدق العاطفة في شعره ، ودفء الحبَّ في حديثه عنها وتعلُّقه بها .

وقد قمنا – في أثناء تحليل أبيات النَّمر- بتقسيم غزله إلى أبرز الأفكار التي حكمت مقطُوعاته الغزليَّة ؛ لتجنب الإطالة المُسهبة والاستطراد والتَّشعب الضبابي الذي قد يصيب القارئ بالملل ، وقد تمثَّلت أبرز أفكاره

<u>غزل الشّاعر بمحبوبته جمرة :</u>

إنَّ أوَّل ما يُطالعنا في ديوان النَّمر من حديثه عن جمرة ، هو بثُّ شكواه ولوعته لخداعها له وكذبها عليه ، فيقول [1]: [من الطويل].

جَـزى اللهُ عَـنّـا جَـمـرَةَ اِبـنَـةِ نَـوفَـلٍ ... جَــزاءَ مُــغَــلٍّ بِــالأَمــانَــةِ كــاذِب
لَـهــانَ عَلَيْـهــا أَمْسِ مَوْقِفُ راكِـبٍ ... إلى جـانِـبِ السَّــرْحـاتِ أَخْيَـبِ خـائِـبِ2
وقَدْ سَــــألَتْ عَنِّي الوُشــــاةَ لِيَكْذِبُوا ... عَلَيَّ و قَـدْ أبْلَيْتُهـا في النَّوائِـبِ
وصّــــدَّتْ كـأنَّ الشَّــمْسَ تَحْتَ قِناعِها ... بَـدا حـاجِـب مِنْهـا و ضَــنَّـتْ بِحـاجِـبِ

قال هذه الأبيات عندما انصرفت جمرة إلى منزل بعلها الأوَّل ولم تخرج ، فعَلِم الخديعة التي وقع ضحيَّتها ، فانصرف خائب الرَّجا مكسور الفؤاد مُنشِداً هذه الأبيات ، فلا سَلوى له سِوى شعره الذي به يُفرِغ ولو جزءاً يسيراً ممَّا به ، فهو يُسلّم أمره لله ؛ ليُجازيها عمَّا خلفته من وعود وعمَّا نقضته من عهود ، أحال القضيَّة من العباد

[1] الديوان ، ص41.

[2] أغلَّ: خانَ / راكب : يقصد نفسه / السرحات :جمع سرحة وهي دوحة واسعة يحلُّ الناس تحتها في الصيف ويبنون تحتها البيوت وظلها صالح/ ضنَّت : بخلت ومنعت .

على ربِّ العباد ، فدعا أن تلقى جمرة ما يلقى الكاذبون الخائنون للأمانة ، ولكن أيُّ دعاءٍ هذا ، وهل يعدُّ نفسه مخدوعاً وقعَ عليه فِعلُ الخيانة ؟ أم أنَّ الحُقوق رُدَّت إلى أصحابها والحُريَّة عادت لمن سُلبَت منهم .

ويُتابع بثَّ لوعته بأنَّه قد هان عليها ما يُعانيه بسببها ووقوفه مُنتظراً عودتها وصدقِها بما وَعَدت ،لقد رضيت له الخيبة والهزيمة والألم ، ولكن حسبُكَ يا رجُل ، ألست أنت من هان عليه أوّلاً إجبارَها على الزَّواج والمكوث معك ؟ ألست أنت من رضِي لها بُعدها عن بيتها وأهلها ؟ أنتَ من بدأ حَرب الهَوان ولكن هي من أنهتها .

والحقّ أنّها صدَّت عنه وأذاقته لوعة فِراقها كما أذاقها لوعة الإكراه والإجبار ، وقد قيل إنَّ هذا البيت : وصدّت كأن .....، أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، حتَّى إنَّ قول قيس بن الخطيم :[من الطويل]

تبـدّت لنـا كـالشّـــمس تحـت غمـامـة بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ

مأخوذ من قول النمر :

وصـــــدّت كـأنّ الشّـــمس تحت قنـاعها بـدا حـاجـب منهـا وضـــنّـت بحـاجـب [1]

والمعنى المُراد أنَّها أظهرت له بعض وجهِها ، أي جانب من وجهها ، رُبَّما أرادت أن يرى وجهَها آخر مرةٍ ؛ لأنَّها عقدَت العزم في سريرتِها على هجره والعودةِ لحياتِها الطبيعيَّة السَّابقة قبل أن تُسبَى .

نجدُ في هذه القطعة مشاعراً متضاربةً تُعرِب عمَّا في وجدانِ الشَّاعر المَكلُوم فهو عاشق، لكنَّه يدعو على من عشقَها وكأنَّ ما في قلبِه من حبٍّ و ودٍّ قد تبخَّر ، فراح يتحدَّث عمَّا قدَّمه لها ، وكيف أحسن إليها ومدَّ لها يد العَون في المصائبِ والمحن ، ليكون جزاؤُه الصدَّ والهروبَ منه ، لكنَّه لو أراد حقاً الإحسانَ إليها لكانَ أطلقَ سراحَها ومنحَها حريتَها وحقَّ اتِّخاذ القرارِ بالبقاءِ أو الرحيل .

وصلَ الشَّاعرُ إلى حالٍ يُرثَى لها بعد غيابِ جمرةٍ عن حياته ، فكان لا يأكل ولا ينام، فارق الجماعة ، وكان مُنعزلاً وحيداً، وقد وصف صاحب الأَغاني حالته بقوله : " لمّا فارق النمر بن تولب امرأته الأسديّة جزع عليها، حتّى خيف على عقله ، ومكث أيّاماً لا يطعم ، ولا ينام ، فلمّا رأت عشيرته منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونه، ويعيّرونه، وقالوا : إنّ في نساء العرب مندوحةً ومتسعاً، وذكروا له امرأة من فخذه الأدنين يقال لها دعد، ووصفوها له بالجمال والصلاح، فتزوّجها ووقعت في قلبه ، وشغلته عن ذكر جمرة "[2].

[1] الديوان ، ص 42.

[2] الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، ج 22 ،1991 م ، ص 278.

نقلاً عن ديوان النمر بن تولب .

غزله بزوجته دعد :

راح النّمر ينظمُ شعراً في زوجتهِ الجديدة دعد التي تزوَّجها بعد أن لامته قبيلته على تعلُّقه بجمرة التي خدعته وهجرته بملءِ إرادتِها، فكيفَ له أن يبقى على حبِّ امرأةٍ لا تُريده ولا تُحبُّه، فكان زواجه من دعد محاولةً لعلاجِ جُرحِ قلبِه ونسيان الألم وتكوين أُسرَةٍ مُستقِرَّةٍ يكون فيها الطَّرفين مُتناغمين بعكس حاله السَّالف مع جَمرة، فنجده يذكر دعداً في الأطلالِ حيناً ويمرّ على التَّغزُّل بها حيناً آخر، يقول :[1] [من الطويل] .

أشَـــــاقَتْـك أطْـلال دَوارِسُ مِـنْ دَعْـدِ ... خَـلاء مَغـانِيْهـاكَحـاشِـيـةِ البُرْدِ [2]
هِـيْمُ بِـدَعْـدٍ مـا حَـيِـيـتُ وإنْ أَمُـتْ ... فَـوا كَـبِـدا مِـمَّـا لَـقِـيْـتُ عـلـى دَعْـدِ
على أنَّهـا قَـالَـتْ عَشِـيَّـةَ زُرْتُهـا ... هُبِلْـتَ ألَمْ يَنْبُـتْ لِـذا حِلْمُـهُ بَعْـدِي[3]
ألَسْـــتَ بِشَـــيْخٍ قَـدْ خُطِمـتَ بِلِحْيَـةٍ ... فَيُقْصِـــرُ عَنْ جَهْـلِ الغرانِقَـةِ المُرْدِ[4]
وإنِّـي كَمـا قَـدْ تَـعْلَـمِـيْـنَ لأَتَّقِـي ... تُقـايَ وأُعْطِـي مِـنْ تِـلَادِيَ لِلْحَمْـدِ

ورُبَّما ضغطُ قبيلته وأبناءَ قومهِ هو ما جعله يتخطَّى جَمرة ويتزوَّج بأُخرى ، ورُبَّما ليُوصل رسالةً إلى من خدعته أنَّه لن تَقفَ حياتَه عِندَها ، ولن يبقَ نادباً من بعدها ، فأراد أن يُثبت لها أو حتَّى لنفسِه أنَّه لا يُقهَر وأنَّ حُبَّها لم يُحطِّمه ، فتزوَّج من دَعد ونظمَ فيها شِعراً ، وبكُلِّ تقليديَّة جاءَ على ذِكرِها في مَطلعِ القصيدة دامجاً إيَّاها بالطَّلل ، مُخاطِباً نفسه مُتسائِلاً: هل اهتاجت بداخلك الأشواق واضطرم فيك الحنين عند مرورِك بأطلالِ دَعد الخَالية من قاطِنِيها. وطالَمَا ارتَبطت المحبُوبَات بالدِّيار فكِلاهُما رمز للاستقرار والاطمئنان، وكلاهُما مَوطِن الشَّاعِر، يَقضِي به مُعظَم وقتِه هانِئاً مُرتاح البال سَعيداً ، فما إنْ يرى آثارَ طَلَلٍ وديارٍ كان قد سَكنها من قبل، حتَّى يتذكَّر سكنه ودياره الآخر وهو زوجته ومحبوبته .

ولا يفوتنا أن ننبّه هنا إلى أنّ النَّمر يتفنَّن بالصَّنعة اللَّفظيَّة والبيانيَّة ؛ إذ لم يَكن بيتُه الأوَّل تعبيراً عن شوقه وحبِّه ، بل كان استعراضاً لمَلَكَاته حين قابل صورةً بصورة ، شبَّه آثارَ الدِّيار الخالية وما فيها من خرابٍ ودمارٍ وخلوة ، بحاشيةِ الثَّوب المُوشّى أي المُطرَّز ، فهذا التَّطريز يُشابه الآثار الباقية وما تبقى فيها من دلائل سُكنى أهلها ،ثم يُعرِّج على تصريحِ هيامه بزوجته الثَّانية دعد ، فهو باقٍ على وتيرةِ هِيامه طِوال فترة حياته لن يوقفه عن حُبِّها سِوى الموت ، ويوغل في التَّعبير عن مَدى تعَلُّقها هي الأُخرى به ، فنجده يندب بحسرةٍ خائفاً على دعد ممَّا ستُعانيه من آلام فراقه عند وفاته ، نَلحظ هنا مُفارقة ما بين حُبِّه الأوَّل لجمرة الذي كان من طَرَف الشَّاعر وحده ، وحُبِّه

[1] الديوان ، ص 57.

[2] مغانيها: المنازل التي كانوا يغنون بها / البرد: الثوب الموشَّى

[3] هُبِلتَ : ثُكِلت /* ألم ينبت لذا حلمه بعدي : يعني ضرس حلمه وهو أقصى الأضراس وآخرها نباتاً/ *خطمت لحيته : صارت في خدَّيه

[4] الغرانقة المرد :الغرانقة جمع غرنق وهو الشاب الحسن الشعر الجميل الناعم ، والمرد جمع أمرد وهو الشاب الذي بلغ خروج لحيته ، وطرَّ شاربه/* التلاد : المال القديم الموروث.

الثَّاني لدعد الذي كما يتبدَّى لنا في شعره أنَّه مُتبَادل ما بين الطَّرَفَين ، فقد صَرَّح بخوفه على مشاعر دعد وقلبها عندما يُفرِّقُهم الموت .

ثُمَّ يدخل ساحة الفخر بشبابه وحيويَّته وأنَّه لازال في أوجِ شبابه ونضارته ، لكن كان ذلك على لسانِ زوجتِه دعد؛ إذ لم يكن تباهيه مُباشَراً، و صوَر مشهداً سريعاً بينه وبين زوجته عندما زارها ليلاً طالباً الوصال ، فذُهِلَت وذهب عَقلها ، وخاطَبته وسط اندهاشها وذهولها : ثكِلتك أُمُّك أما زِلت بهذا الاندفاع والحيويَّة وأنتَ بهذا العُمر وكأنَّك في بدايةِ شَبابِك ولمّا يَخرُج بَعد ضِرسُ الحُلُم عِندَك _ وهو أَقوَى الأضراس وآخِرُها نَبَاتاً_ وهذه إشارة إلى أنَّه لايَزالُ في رَيعَان شَبابِه ، ولم يَتقدَّم به العُمر بَعد ، أو أنَّه يُرِيد إيصالَ هذه الفِكرَة فقط ، وتعودُ زوجته لمُخاطَبته مُتعجِّبة منه ؛ لكونه رجُلاً قد بَلغ مِنَ العُمر حَدّاً يجبُ أن يُحِيطَ به الجلال والهَيبة والوِقار إلَّا أنَّه يَلهُو ويَعبَث مَعَها ، ولَعلَّ سبب تصرُّفه بتلك الطَّريقة رغبةً منه لإشعارها أنَّه لازال في مُقتبل العُمر ولا يأبهُ كم بلغَ به العُمر ، وأيضاً لا يتوَجَّب عليه المُحافظة على هيبته ووقاره عندما يكون برفقة زوجته ، يتحرَّر من القيود كلّها التي يفرضُها العُمر وتقتضيها طبيعة الحال، وهو لا يكون كذلك إلا بحضرة دعد، أمَّا بحضرةِ غيرها فهو رجُل شديد البأس ذو هيبةٍ ووقارٍ وشهامة ، يتَّصف بالصِّفات الرُّجوليَّة الشَّرسة ، ولا يُصبح هيِّناً ليِّناً إلَّا برفقَة مَن يُحبُّها .

حنينه لجمرة وعودتها إلى ميدان بوحه الشعريّ:

رغم ادِّعائِه أنَّه قد تجاوز صفعة جمرة القاسية له، وعزوفه عنها وعن الحُزن والنَّدب لرحيلها، نجده يبوءُ بفشلٍ ذريع، فأين العُزوف وقد استعمرت جمرة أشعاره ، علَّقت صورها على جدران قلبه، رحلت تاركةً إيَّاه غارقاً بأوهامه واعتقاده أنَّه يستطيع تجاوز ما حدث .

تأتي جمرة على لسانه فجأةً ، تخرُج من بينِ أشعارِه عَفواً ، لا يجدُ نفسَه إلَّا مُتحدِّثاً عنها مهما كان موضوعُ قصيدته ، وكأنَّها المِحور الذي يدور حوله فلكَ العُكْلي ، فها هو يتحدَّث عن الشَّيب الذي غزا شبابه ، وتقدُّمَه بالعُمر ، وبالطَّبع كانت جمرة الرَّاعي الرَّسمي لَبوحِه ، فيقول :[1] [من المتقارب] .

تَصـــــابَـى وأمْسَـــــى عَـلاهُ الـكِـبَـر ... و أمْسَـــــى لِـجَـمْـرَةَ حَـبْـل غَـرَرْ
وشـــــابَ و لا مَـرْحَـبـاً بِـالـبَـيـا ... ضِ والشَّـــيْـبِ مِنْ غـائِـبٍ يُنْتَظَرْ
فَـلْـو أنَّ جَـمْـرَة تَـدْنُـو لَـهُ ... لَكِنَّ جَمْرَة مِنْـهُ سَـــفَرْ

[1] الديوان ، ص63.

*تصابى: صار إلى الصبا والجهل / *حبل غرر : أراد أن ميثاقها غرور ؛ أي غير ثقة/ لا مرحباً بالبياض ؛ لأنه يؤدي إلى الهرم والكبر/*سفر : أي بعيد .

يتحدَّث الشّاعر عن سنواتِ عُمره التي سُرعان ما انقضت وخلَّفت له آثاراً وعَلاماتٍ تبدَّت على وجهِه وجسده وقوَّته ،كما هرِم قلبه عندما تيقَّن من أنَّ الميثاق الذي أخذه من جمرة ما هو إلَّا ميثاق كاذب ، وأنَّها ليست أهلاً للثِّقة ، غادرة هي مثل الزَّمن الذي يتقدَّم سريعاً مُخَلِّفاً للإنسان الضَّعف والشَّيخوخة والوهن ، صورة مقارِنة رائعة ما بين غدر الزَّمان وغدر جمرة ، مقابلة بين فِعْلِ السُّنون بجسده وما طرأ عليه من علامات التقدُّم بالعُمر والهرم ، وفِعْلِ فِرَاق جمرة بقلبه وروحه ، فإن كان الزَّمن قد جَعله شيخاً كهلاً ، فإنَّ جَمرة قد جعلت قلبه عجُوزاً وروحه بائسةً تنتظرُ أجَلَها ، تضافَرَ عامِلُ الزَّمنِ مع فِعلِ جمرة ؛ إذ اشتعل رأسه شيباً وغزا سواد شعره ولحيته البياض ، وهذا أمر لابُدَّ من حدوثه ، فالتَّقدُّم بالعمر لامحالة آتٍ ، والتَّغييرات التي تطرأ على الإنسان إنَّما هي سُنَّةُ الحياة والكون ، فالقوَّة والشَّبابُ والنَّضارةُ غيرُ دائمةٍ إنَّما إلى زوال ، وعلى الرَّغم من معرفةِ الجَّميع بذلك يبقى التَّقدُّم بالعُمر قادم غير مُرحَّبٍ به وغير مرغوبٍ أيضاً؛ إذ يتمنَّى المَرء عدم قدُومِه أبداً ليبقى مُحافظاً على شَبابه وقوَّته وحيويَّته ، وكلِّ ما به من مُعاناة التَّقدُّم بالعُمر والرُّضوخ للأمر الواقع، وأنَّ فترةَ شبابه قد ولَّت ، كلُّ هذا يهون وتخفُّ وطأته إن عادت جمرة إليه ، ولكنَّها بعيدة عنه ، عادت لمَملكتها التي سُرقَت منها ، عادت لاستقرارها والبيت الذي تعدُّه سَكنها وموطن طمأنينتها ، هجرت من كان مُكرهاً إيَّاها على البقاء معه ، إلَّا أنَّه يأبى الاعتراف بخطئه ، وكأنَّ حُبُّه لها وتعلُّقه بها يُتيح له التَّحكُّم برغباتها وتوجيه أحاسيسها كما يشاء ، وما كان من القدر إلَّا أن جعله يحصد ما زرعه من ألمٍ داخلَ جمرة تحت مُسمَّى الحُب ، وجنى قِطاف الإكراه وفرض سُلطته الذُّكوريَّة على امرأةٍ رقيقةٍ مُستضعفة بحُجَّة عِشقه وتعلُّقه بها ، فتجرَّع قليلاً من المرار الذي أذاقه لمن أسماها زوجته الغادرة الخائنة للعهود والمواثيق .

وفي مَعرض حدِيثه عن الحرب ومغامراته فيها، وسَردِ وقائعها، والفَخر بمشاركاته، وقوَّته وبَطشه وفتكه بالأعداء ، نجده يستفتح القصيدة التي خيَّمت عليها شدَّة البأس والقسوة والجَّلافة ببيتٍ رقيقٍ ذكر فيه جمرة ، فيقول : [1][الكامل].

صَـــــرمَتْـك جَمْرَةُ واسْـــــتُبِـدَّ بِـدارِهـا وَعَـدتْ عـوادِي الـحَـرْبِ دُون مَـزارِهـا [2]

ويعلم أنَّه ما إنْ يتمُّ ذِكرُ جمرة على لسانه حتَّى تنطلق قريحته الشِّعريَّة، وتجودُ بأفضل المعاني والصُّور والاستعارات ، فهي مفتاح نجاحه ومُلهمَته رغم بُعدها عنه ، أو رُبَّما استهلَّ القصيدة بجمرة للسَّير على النَّهج ذاته الذي يسلكه باقي الشُّعراء من الابتداء بالنَّسيب قبل أن يوغلوا في غرضهم الأساسيّ، إلَّا أنَّنا نعتقد أنَّ سببه إمَّا لأنَّها مُلهمته، وإمَّا ليكسر حِدَّة معاني القصيدة برقَّة جمرة واسمها وذكرها واستهلاله بها.

ويلاحظ أنّه استحضر في البيت السَّابق ابتعاد جمرة عنه التي غدا بعدها منزله فارغاً لا حياة فيه ، استوطنه من ليس لهم حقٌّ فيه، ومن ليس أهلاً لينزلوا به، ولا نَعلم من يقصد هنا، رُبَّما كانوا أعداءً أغاروا على قبيلته

[1] الديوان ،ص68.

[2] صرمتك : قطعتك / - العوادي : الشواغل ؛ أي إن شواغل الحرب منعته من زيارتها.

واحتلّوا داره التي كان يسكنُ بها مع جمرة ، أو رُبَّما يقصد زوجته الثانية دعد التي ادَّعى حُبَّه لها وحبَّها له ، إلَّا أنَّ الحقيقة أنَّه تزوَّجها إذعاناً لرغبة قومه وقبيلته الذين استنكروا عليه الوفاء بمشاعره لمن خذلته وتركته ، ولإثبات شدَّة بأسه ورجولته وأنَّه لن يُصيبه الوَهن والحُزن بسببِ امرأةٍ تركته ، فإن تركته واحدة فهو بقادرٍ على أن يتزوَّج ويُغرَم بغيرها بكلّش سُهولةٍ ويُسر ، وأنَّه لن يَقف نادباً مُتحسِّراً خلفَ امرأةٍ لا تريده ، نجده بهذا كلِّه ومحاولاتِه جميعها تذهب هباءً تذروه الرِّياح ما إن مرَّ طيفُها بمُخيّلته ، فهو في غِمار حربه ومازال يذكرها ،ويحقدُ على تلك الحَرب ومَشاغلِها التي منعته من زيارتها والاطمئنان على حالها .

تجدُّد ألمَ خداعِ جمرة في نفس العُكْلي:

إنَّ ألم الخُذلان لا ينفَكُّ يتجدَّدُ في نفسه ، فنجده يكاد لا يخرُج من الدَّائرة التي أدخلته جمرة بها ، فيعود ويكرِّر سردَ حادثةِ صرمِها له بين الحينِ والآخر، و لكن بتعبيرٍ مُختلفٍ، ونفسٍ شعريٍّ مُغايرٍ، وحالةٍ نفسيَّةٍ وشُعوريَّةٍ مُتجدِّدة، لكنَّها على نَفس وتيرةِ الأسى للفقد، فيقول :[1] [من المتقارب] .

وكُـــــلُّ خَلِيْـــــلٍ عَلَيْـــــهِ الرِّعـــــا ثُ والحُـــــبُلاتُ* كَـــــذُوب مَلِـــــقْ [2]
و قَامَـــــــتْ إلـــــــيَّ فَأَحْلَفْتُهـــــــا بِهَـــــــذْيٍ قَلَائِـــــــدُهُ تَخْتَنِـــــــقْ
بَـــــأنْ لا أَخُونَـــــكَ فِيْمـــــا عَلِمْـــــتَ فَـــــإنَّ الخِيانَـــــةَ شَـــــرُّ الخُلُـــــقْ

بعد كَذِبِ جمرة عليه بأنَّها ستعود بعد زيارة أهلها ، أصبح يرى جميع النِّساء كاذبات ، جميعهنَّ مهما بلغنَ من الجمال ومهما تزيّنَ بالحُليّ مُختلفة الأَشكال والألوان ومهما حاولنَ أن يخرُجنَ بأبهى صورةٍ وأتمَّ جمال ، ماهُنَّ إلَّا كاذبات ، خالفاتٍ للوعود ، ناكثاتٍ للعهود ، فلا تغُرَّنَّك زينتهنَّ ورقَّتهنَّ وجمالهن ؛ لأنَّه يقبع خلفها قسوةً مضمرةً مزيَّنةً بقشور الضَّعف والرِّقَّة التي يدّعينها ، مُتَّخذاً من حادثةِ جمرة دليلاً على ذلك ، عندما طَلبت منه زيارة أهلها بصوتِ الواثقِ وتعابير الصادق ، مؤكِّدةً له بأنَّها لن تخونه لأنَّ الخيانة هي أقبحُ فعلٍ يقترفَه الإنسان بحقِّ غيرِه ، وبعد هذه التَّمثيليَّة رضخ لمطلبها رغم مخاوفه ،وعليه فإنَّها فعلت ما بيَّتت النيَّة لفعلِه وعادت لحياتها الأولى ، وزوجها الأوَّل ، واستقرارها الأقدم ، وتركته مذهولاً مصدوماً مكلوماً ، شاخصَ البصرِ يحاول استيعاب ما حلَّ به ، والحقُّ أنَّ جمرة لا تُعدُّ خائنة كما صوَّرها ، فهي لها الحق في الاختيار ، شأنُها شأنُ كلِّ إنسانٍ على وجه الخليقة ، ، لها حقُّ اختيار خليلها الذي ستقضي حياتها برفقته ، لها حقُّ رفض رجُل يفرض نفسه على حياتها العاطفيَّة والجسديَّة ، كما لها الحق في استرداد حريَّتها واستقلالها عنوةً أو بحيلةٍ أو بوعدٍ كاذب ستخلفه لتعود إلى حياتها التي قُلِبَت رأساً على عقبٍ دون إذنٍ منها، ودون رغبتها، ورُبَّما كان من الخطأ أن تكذب، أو تقطع وعداً وتخلفه، أو تحلف وتخنث بيمينها ، لكنَّها في مجتمعٍ لا يلقي بالاً لرأي المرأة

[1] الديوان،. ص91.

[2] الرعاث: الأقراط التي توضع بالأذن /*الحبلات :كل ما تزينت به المرأة من حسن الحُلي /*الهدي :ما أهدي إلى مكة من النعم ./تختنق : تتحرك وتضطرب .

ورغبتها، في مجتمعٍ عليها الحفاظ على نفسها وقلبها، وحماية روحها وصحَّتها النَّفسيَّة قبل الجَّسديَّة بأيِّ طريقة كانت، فقد عاشت في عصر الجَّاهليَّة حيث السُلطة الذُّكوريَّة لا تعلُوها سُلطة ، وصوت الأنثى غير مسموعٍ بتاتاً إلَّا في بعض الحالات التي استطاعت فيها المرأة أن تَبرُز ويكون لها كيانها المُستقلُّ بعيداً عن أيِّ تّسلُّط، إذاً لجمرة كلُّ الحَقِّ بما فعلت؛ فلديها حياة واحدة لتعيشها، ومن أبسط حقوقها الإنسانيَّة اختيار من سيرافقها في سرّائها وضرّائها، في حلوها ومرّها، إلاّ أنّنا لن نرى هذا إن نظرنا فقط من منظور الشّاعر، بل يجب أن ننظر من منظورٍ إنسانيّ ينصف الضعيف ويقف مع المظلوم .

لقاء الشَّاعر بجمرة_ بعد هجرها له _في الحجِّ وبثِّ لواعجه بشكلٍ مُطوَّل:

بعد أن كابد العُكْلي ما كابده من آلامِ العشقِ ونارِ الاشتياق، قُدِّر له أن يلتقي بجمرة بعد طول غياب ، التقاها في الحَّجِّ وكانت مع بعلها الأوَّل ، فلَمَحَته من بعيدٍ، وأرسلَت إليه مع رسولٍ سلاماً تسأله عن حاله بعدها، وتوصيه بأولادِه منها خيراً، فأيُّ لقاءٍ هذا الذي قُدِّرَ له ؟! رآها مع رجلٍ غيره تفصل بينهما مسافة تمنعه من سَماع صوتِها والتَّنعُّم بالنَّظر إلى عينيها ، لم يحصل سوى على إيماءات الوجه عند إرسالها سلاماً وسؤالاً، فيقول :[1] [من الطويل] .

تَأبَّـــدَ مِـــنْ أطْـــلالِ جَمْـــرَةَ مَأْسَـــلُ ... وقَـــدْ اقْفَـــرَتْ مِنْهـــا شَـــراء فَيـــذبُلُ
ودَسَّـــتْ رَسُـــولاً مِـــنْ بَعِيْـــدٍ بِآيَـــةٍ ... بِـــأنْ حَـــيِّهِمْ واســـألهُمُ مـــا تَموَّلـــوا
فَحُيِّيـــتِ مَـــنْ شَـــحْطٍ فَخيـــر حَـــدِيثُنا ... ولا يَـــــأْمَنُ الأيَّـــــامَ إلَّا مُضـــــلِّلُ

بادئ ذي بدء يشرع بالحديثِ عن أحواله بلَهفةٍ لها، بعد أن افتتح قصيدته بالأطلال التي أقفرت بعد ذهاب جمرة عنها ، فهي التي كانت تبثُّ الحياة أينما حلَّت ، وأجابها عن سؤالها عنه بأنَّه بأحسنِ حالٍ و لكن لا شيء يدوم في هذه الدُّنيا الفانية ، فيجبُ عدمَ الاغترار بما نعيشه من رغدِ عيشٍ أو راحةِ بال ، ولعلَّه يقصد هنا الإشارة إلى بُعده عنها ، فقد كانت قَبلاً بين يديه ، تحت سقف بيته ، أمام ناظريه ،أمَا الآن رؤيتها من بعيدٍ ولو صُدفة تُعدُّ نِعمةً كبيرةً قد يُحسَد عليها ، وكذا حال الدُّنيا يوم لنا ويوم علينا ، يوم سرورٍ وآخر حزن ، ولا يأمن لهذه الدنيا سوى الجَّاهل بخباياها وبغدرها .

ثُمَّ يُعرِّج للحديث عن نفسه والشَّرح باستفاضة عمَّا آل إليه من تقدُّم بالعمر، وغدر الزَّمن به، ولا شكَّ في أنَّ السَّبب الرَّئيس هو غدرُها ، فيقول : [2] [من الطويل].

لَعَمْـــرِي لَقَـــدْ أنْكَـــرْتُ نَفسِـــي ورابَنـــي ... مَـــعَ الشَّـــيْبِ أبْـــدَالي التـــي أتَبَـــدَّلُ
فُصُـــول أراهـــا فـــي أدِيمِـــيَ بَعْـــدَما ... يَكُـــونُ كِفـــافَ اللَّحـــم أوْ هـــو أفْضَـــل

[1] الديوان ،ص 95، 97، 98.

[2] الديوان ، 98.

فهو يكاد لا يُصدِّق أنَّ هذا الجَّسد هو جسده ، وأنَّ هذه الغمامة البيضاء فوق رأسه هي شعره، فيحاولُ نكران الهزال، والوهن، والضَّعف الذي اقتحم كيانه، وسلب شبابه، ومنحه الكُهولة والعجز، بعدما كان يتمتَّع به من قوَّة وصحَّة ، قُلبَت الموازيين وتبدَّلت أحواله جميعها، حتَّى وصل إلى حالٍ يكاد لا يعرفه من يراه لفرط التَّغيير الذي طرأ عليه، وهو نفسه يُنكر هيئته التي وصل إليها، وكيف كان لحمه مُكتنزاً قاسياً مصقولاً لامتلائه وقوَّته وشدَّة بأسه، قد هَزُل، وتَغضَّن جلده، وظهرت التَّعرُّجات والخُطوط على جسده بسبب النُّحول والوهن الذي أصابه بشيخوخته، وغدت تلك اليدان مُتغضِّنة مُتعرِّجة، وغدا ساعداه القويَّان المفتولان المشدودان هزيلين مُترهِّلين، يدُلان على شيخٍ عفا عليه الزمن وخانه شبابه .

ورُبَّما في استفاضته في الشَّرح، وإيغاله في الحديث عن وهنه، وتبدُّل حاله محاولةٌ منه لاستدرار عطف جمرة وحنوّها، أو رُبَّما ليُوصل إليها كيف أصبحت حاله دونها؛ ليجعلها تحسُّ بعظيم أثرها وعبق وجودها في حياته ، وكيف جعلته ينبضُ حيويَّة وهو بقُربها وكلُّ هذا في بيتين من الشِّعر .

وقد وصل به الحال أنَّ زوجته _ ولعلَّه يقصد هنا زوجته الثَّانية دعد – لم تعُد تأبه به أو تهتمُّ لشأنه ، فهي تعتني بأولادها وتخشى عليهم من البرد، فتأويهم إلى حضنها، وتغطِّيهم، ولا تُلقي بالاً لزوجها، أو تفكِّر به، إذ أصبح شيخاً كهلاً، فلم يَعُد يُلفِتُها، ولا تُغريها قوَّته، ولا صلابته التي سلبها منه الزمن، ولم يَعُد وجوده يُشَكِّل فارقاً عندها على الرَغم من أنَّه صحيح البدن، فقد اعتراه الكِبر، و ويقول إنَّه بعد أن كانت امرأةً مطيعةً لي باذلةً لأجل إسعادي كلَّ طاقتها، وكنتُ معها قريرَ العينِ هانئَ البالِ لدرجة أنَّها لاتدعُ لي مجالاً لأطلبَ منها أيَّ شيء، فبحجم الاهتمام كان الإهمال، أصاب الشَّاعر جَزَع ودهشة لهذا الانقلاب الجَذري في مُعَامَلته، وفي نَظراتها إليه، فقد تغيَّرت وأصبح آخر اهتماماتها، ومع تغيُّر كُلِّ ما حوله حتَّى أقربَ النَّاس إليه وصل إلى مرحلةٍ من النُّضجِ أتى بها تقدُّمه في السِّن، أصبح بسيطاً زاهداً في الدُّنيا تُرضيه أقلُّ الأمور وتكفي حاجته، فإن انقضى يومه بسلام يأكلُ ويشربُ، ويُمسي معافىً يشعر كأنَّه مَلك الدُّنيا، وقد أصبحت أُمنياته أبسط ونظرتُه للحياة نظرةَ زائرٍ لها راحلٍ عنها، فيقول :[1] [من الطويل].

وَظلْعـــي ولَـــمْ أُكْسَـــرْ وإنَّ ظَعِينتِـــي تَلــفُّ بَنِيْهــا فــي البِجــادِ و أُعْــزَلُ[2]
ودَهْـــرِي فَيكْفِينِـــي القليـــلُ و أنَّنِـــي أؤوبُ إذا مـــا شِـــبْتُ لا أتعلَّـــلُ
وكُنْـــتُ صَـــفيَّ الـــنَّفْسِ لا شَـــيء دُونَـــهُ فَقَـدْ صِـرْتُ مِـنْ أقصـى حُبَيبَـى أذهـلُ

فهُنا إنْ حاولنا الوُلوج إلى أعماق الشَّاعر، واستنباط ما وراء المَعنى الواضح للوُصولِ إلى المعنى المُبطَّن المُراد، نجد أنَّه رُبَّما أتى على ذِكر استخفاف زوجته به، والخشية على أولادها من البرد وإهماله، وكُلُّ ذلك لإيصال فكرةٍ ما إلى جمرة، وهي أنَّ زوجته قد أهملته ولم تَعُد تأبه به لأنَّه غدا كهلاً، ولتَعلم أنَّه بعدها أصبح بينه وبين

[1] الديوان ،ص 99-100.

[2] الظلع: العرج الخفيف/*الظعينة:الزوجة/*البجاد : الغطاء كاللحاف وما شابه /*الصفي : العزيز المُختار / *إقصاء : مُخففة من إقصاء وتعني إبعاد.

السَّعادة بون شاسع فهي بعيدة المنال كجّالِبَتِها، وعندما أتى على ذكر البساطة والرِّضا التَّامّ عن حاله رُبَّما يكون إشارة منه إلى أنَّه قد تقبّل ما فَعَلت، وفّهِم دوافعها وهو راضٍ عنها، ولا يحمِل في داخله حِقداً أو كُرهاً تجاهها؛ لأنَّ الدُّنيا أقصرُ من أن تُعاش بهذه المشاعر السلبيَّة، بعد ذلك يجيء بضربٍ من الإبداع في اجتلاب المعنى العميق لفكرته السَّابقة ، فيقول :[1] [من الطويل].

دَعـانِـي الـعَـذارَى عَـمَّـهُـنَّ وخِـلْـتُـنِـي لِـيَ اسْـــم فَـلا أُدْعَـى بِـهِ وهـو أوَّلُ

فقد أصبحت النِّساء وعلى وجه الخُصوص الفَتيات في مُقتَبل عُمُرهِنَّ و العَذَراى مِنهُنَّ ينظُرنَ إليه نظرة شفقة وحنو ، ولا يرينَ فيه سوى رجُلٍ كَهلٍ رُبَّما يحتاج العون في قضاءِ بعض حوائجه ، فالتغى اسمه وصار في عداد الأموات، وأصبح يُنادى يا عم، هنا وصل في تعبيره عن عجزه وعن شيخوخته التي أصابته أسمى المراحل، إنَّه تصريح وإعلان قويّ وواضح ومُباشر بأنَّ ناقوسَ الخطرِ قد دقَّ أجراسَه، وأنَّ زمنَ الشَّباب والقوَّة واللَّهو قد انقضى ، ولم يتبقَ من العُمر أكثر من الذي مضى .

على الرغم مما تحدَّثنا عنه بأنَّ النَّمر قد أجبرَ جمرة على الزَّواج منه والمُكُوث عنده ، وأنَّها كانت مجرّد سبيّة سُلّمَت إليه رُغماً عنها ، ورُغم وقوفنا بصفِّها فيما فعلتْ من خلفٍ للعهدِ والوعد ، لكنَّنا لا نُنْكر صِدقَ عاطفةِ العُكلي ، ومدى حُبِّه المَكنون الذي بدا جليّاً في أشعاره ، والحقُّ أنَّه لم يشعُر تجاهها بالحِنقِ أو الكُره بعد خديعتها له ، فالمُحبُّ الصادق يبقى متمسِّكاً بحبِّه مهما لقيَ من محبوبه ، مهما واجه من عقَباتٍ ومواقف أرادتْ أن تحولَ بين قلبِه ومن سَكَن به ، لذلك نراه قد تركَ جمرة في زاويةٍ من زوايا قلبِه ولم يُخرجها منه ، وحاولَ إخمادَ نارِ شوقِه وتناسِي آلامِه والمِضي بحياةٍ بسيطةٍ لا همَّ فيها ولا كَمَد، وذلك عن طريقِ زواجه من امرأة أُخرى ، لكن ما إن بلَغه نبأ وفاةِ جمرة حتى تجدَّدت الآلامَ والمَوَاجِع في قلبِه ، واستعرَت مشاعرُ شوقِه وحُبِّه لها من جديد ؛عندما نعاها له رجل من قومِه يُدعَى حِزام ، فاشتدّ به الحُزنُ ونعاهَا هو بدورِه بأسلوبِ الشَّاعر العاشق المَكلُوم ، قال عندما وصله نبأ وفاتِها :[2] [من الوافر].

أَلَـــمْ تَـــرَ أنَّ جَمْـــرَةَ جـــاء مِنْهـــا بَيـــانُ الحَـــقِّ إنْ صَـــدَقَ الكَـــلامُ
نَعاهـــا بِالنِّـــداءِ لَنـــا حِـــزام أَحَـــقّ مـــا يَقُـــولُ لَنـــا حِـــزامُ
فَـــلا تَبْعَـــدْ[3] وقَـــدْ بَعِـــدَتْ وأَجْـــدَى علـــى قَبْـــرٍ تَضَـــمَّنَها الغَمـــامُ

أوَّل ما يلفتُنا في رثائه جمرة، وفاؤه وبقاء الحُبِّ والمودَّة تجاه جمرة أمَّ أولاده، وقيمة الوفاء عنده مع صدق العاطفة ورقَّة القلب، وبقاءُ جمرة على نفس وتيرةِ إلهامه للشِّعر فما إنْ جاء ذكرها وخبر موتها حتَّى سال فيضٌ

[1] الديوان ، ص 101.

[2] المصدر السّابق ، ص 113.

[3] لا تبعد : لا تهلك / *تضمنها الغمام : يدعو لقبرها بالسُقيا .

من المعاني مُنبعثٌ بغزارةٍ من قريحته الشِّعرية ، فيقول مُخاطباً نفسه مُستنكراً الواقعة إنَّه قد جاء خبر وفاة جمرة، لكنَّه مازال مُشككاً باحتماليَّة عدم دقةِ هذا الخبر .

فالنكران أُوْلَى المراحل التي يمرُّ بها المفجوع، لذلك نجده ينكر الفاجعة التي حلّت به ولا يُصدِّقها، ثُمَّ رويداً رويداً يبدأ بتقبُّل المُصيبة، وكذلك حالُ العُكْلي فهو يُشكِّك بصحَّة ما جاء به وأذاعه حِزام على مَسمَع الجَّميع ، إذ كان نعيُ الوفاة في الجَّاهليَّة يكون بأن يَمتطي أحدهم جواده، ويسيرُ بين الناس، وينعي المتوفّى على مَسمَع الجَّميع؛ فينتشر خبر وفاة شخصٍ ما بتلك الطريقة.

وبعد أن تخطَّى الشَّاعر مرحلة النُّكران وعدم التَّصديق والتَّشكيك بمدى صحَّة الخبر، ذهب يدعو لها بالرَّحمة وعدم الهلاك بعد أن كان سابقاً يدعو بأن يُجازيها الله ويُعاقِبها، لكن عند الوفاة تتغيَّر الموازين وتتبدَّل المشاعر في القلوب، ويتذكَّر المرء أنَّه ما هو إلَّا ضيفٌ في هذه الدُّنيا وسيرحل كما رحل غيره، فيدعو بالرَّحمة للمتوفّى ويصفو قلبه تجاهه، فما علمكم إن كان المتوفّى بيومٍ من الأيام أقرب الناس إليك ،وعشت معه أياماً سعيدة كانت ثمرتُها أولاداً ، وإن تبدَّلت تلك الأيام وانتهت يبقى أثرها في النَّفس دائماً وأبداً ، فالذِّكريات الجَّميلة لا تُنسى .

يدعو لجمرة وكأنَّها أخذت جزءاً من قلبه برحيلها ، ثمّ يدعو لقبرها بالسُّقيا وأن يلفَّه الغَمام لتَبقى الأرضَ مُخضرّة فوقَ قبرِها وحولَه.

ولم يقصُر رثاءه لها على بضع أبياتٍ بثَّ فيها دعواه، وشكواه، وذهوله ، بل راح يُعبِّر عن فيض مشاعره المكتومة التي فجَّرتها جمرة وحرَّرتها بوفاتها ، حتَّى بعد أن واراها الثَّرى ظلَّت تؤثِّر فيه تأثيراً جمّاً، فيقول :[1] [من المتقارب].

سَـــلا عَـــنْ تَـــذَكُّرِهِ تُكْتَمـــا وكَـــانَ رَهِيْنـــاً بِهـــا مُغْرَمـــا
وأقْصَـــر عَنْهـــا* وآياتُهـــا تُـــــذَكِّرُهُ داءَهُ الأقْـــــدَما[2]

نرى أنَّه بدأ باستخدام الرُّموز والأقنعة والإيحاءات ليدلَّ بشكلٍ غير مُباشر على حُبِّ حياته جمرة ، فيستخدِم أسماءً وهميةً لا قيمةَ لها عنده (تكتم) ، يتّخذها ذريعةً لمتابعةِ بث لواعِجه ، رُبَّما أحسَّ بالحيّز الذي احتلَّته جمرة من نظمه فعرَّج لهذا الأُسلوب مواراةً لمشاعره فيقول إنَّه كُلَّما أبعد تلك المرأة عن فكره، وحاول نسيانها، ونجح تقريباً بذلك على الرَّغم من شغف قلبه بها، وأسر روحه من قِبَلِها، وكُلَّما ابتعد أعادته أبسط الأسباب، فما إن رأى آثار ديارها ومكاناً كانت تُقيم فيه أو تمرَّ به، حتَّى تعود إليه أفواج الحنين هاجمةً على روحه تنهَشُها شوقاً ورغبةً للِّقاء والوصل ، بل يكاد كلُّ ما حوله من شجرٍ، وحجرٍ، وإنسٍ، وجنّ يُذكِّره بحبِّه الأقدم، وعشقه الأوحد الذي كان له الدَّاء والدَّواء ، والمُشكلة والحل، وجالبُ السَّعادة ومُسبِّب التَّعاسة ، كُلُّها في آنٍ واحد ، وكأنَّ الكون

[1] الديوان ، ص 115 .

[2] تكتم : اسم امرأة / *أقصر عنها : كفَّ عنها /*داءه الأقدم: أي الحب وهو أقدم من كل داء.

تآمر مع تلك المحبوبة ضدَّه ؛ ليُرِيَاه الجَّانب المُظلم للحُب الذي يلهثُ وراءه النَّاس دون وعيٍ منهم بعواقبه إن تمكَّن من قلوبهم .

والحقّ أنَّ بعض المواقف القاسية التي يتعرَّض لها الإنسان أحياناً كفيلةٌ بأن تُغيِّر نهجَه، وتجعله ينضج، ويتوسَّم بالحكمة والرَّزانة، وتتغيَّر نظرتُه للأمور كلّها، فها هو العُكْلي يتحدَّث بحكمةٍ عن الموت بعد أن امتصَّ الصَّدمة، واستوعب فاجعة رحيل جمرة ، وتيقَّن من أنَّ الموت كأسٌ لابُدَّ للإنسان أن يتجرَّعه عندما يحينُ أجله، فـيقول :[1] [من المتقارب]

فَـــــإنَّ المَنيَّـــــةَ مَـــــنْ يَخْشَـــــها ... فَسَـــــوفَ تُصـــــادِفُهُ أينَمـــــا
وإنْ تَتَخطَّـــــــــاكَ أسْـــــــــبابُها ... فـــــإنَّ قُصـــــاراكَ أنْ تَهْرَمـــــا [2]

إذاً لا داعي للخِشية من الموت وقُرْبِ الأجل، فأينما ذهبتَ، وكيفما تحصَّنتَ ستواجه قَدَرَك وتأخذ نصيبك الذي هو مُقدَّرٌ لك، ونلحظ أنَّه يُحاول مُواساة نفسه علَّه يجدُ في التَّسليم بالأمور المُسيَّرين بها سِلوَاناً وصَبراً يُساعِدانه في مواجهة فَقْدِه، ورُبَّما كان فَقَدَهَا مُنذُ أمدٍ طويل عندما أخلفَتْ وعدِها له ، إلَّا أنَّ هذا الفَقْد من نوعٍ آخر؛ لأنَّه لن يراها مرةً أُخرى بالصُدفة مثلاً كما حدثَ معه في الحجِّ ، ولَمْ يعُد باستطاعته أن يسمع صوتها، أو حتَّى أخباراً عنها، إذ لم يتبقَ منها إلَّا أولادهما ، و نحن في هذا المقام نشعرُ به وكأنَّه يأخذ نَفَسَاً عميقاً، يتنفَّس الصَّعداء بين كلِّ بيتٍ شعريٍّ ويُتَابِع من جديد، بقلبٍ جديد، وفكرٍ جديد، وروحٍ راضية، فيؤكِّد أنَّه حتَّى من راوغ الموت، وحاول تضليله – وهذا مستحيل _ فاستقام، وحافظ على صحَّته، وابتعد عمَّا يمكن أن يودي به إلى حتفه، سيجد الهرم والفناء آتٍ لا محالة ، فمن لم يمُت بعلةٍ، أو مرضٍ، أو حربٍ، أو حادثٍ ما، ستجيء منيَّته تتبختر حين تأتي ساعته ، فتُؤخَذ روحه بعد أن عاش ما قُدِّر له من السِّنين ، لذلك إن أحبَّبْتَ أحداً يوماً ما فلا تُوغِل في مَحبَّتِك، ولا تَرهِن قلبك لمن لا تَأمَن دوام قُربِه و وجوده، ثم يدعو إلى الاتِّزان في تقديمِ المشاعرِ، وكبحِ جِماح القلب إن أراد أن يَتُوه في فلك مَحبُوبِه ، يقول العُكْلي :[3] [من المتقارب] .

وأحبـــــبْ حَبِيبـــــكَ حُبَّـــــاً رُويـــــداً ... فَلَـــــيْسَ يَعُولـــــكَ أنْ تَصْـــــرِما [4]
فـــــتَظْلِمَ بِـــــالودِّ مَـــــنْ وَصـــــلُهُ ... رَقِيـــــقٌ فَتَسْـــــفَه أو تَنْـــــدَما

ولعلَّ دعوتَه هذه مَنْبَعها إحساسه بعد ما حلَّ به عند فراق جمرة ، فقد كُتِب عليه أن يُفارقها مرَّتين، مرّةً عندما هجرته، ومرّةً عندما توفِّيت، فهي لا تنفكُّ عن إيجاعه برحيلها ، وهذا كُلُّه بسبب حبِّه العَظيم لها ، نراه مُستَنبطَاً الحِكَم ناثراً النَّصائح بعد ما مرَّ به من ألمٍ في حياته، علَّه يُنقِذ أحدهم من براثنِ ما يُسمَّى بالحُب، ويؤكِّد أنَّه يجبُ ألاّ يمنحَ الحُبِّ والمودَّة والمكانة العظيمة في القلب إلَّا لمن يستحقُّها، وجاء بصورةٍ بديعةٍ للتعبير عن

[1] الديوان ،ص 116-117.

[2] قصاراك : غايتك.

[3] الديوان ، ص 117.

[4] يعولك : يشقُّ عليك/رقيق: غير مُحكم /تسفه: تجهل وتظلم.

معناه، فيقول (فتظلم بالودّ من وصله رقيق) أي: إنْ منحت الودّ لمن لا يهتمُّ بك ولا يريدُ وصالك، فإنَّك بفعلكَ ذلك تكونُ قد ظلمتَ ذاك الودَّ الممنُوح؛ لأنَّك وضعتَهُ عند من لا يستحقُّه، إذاً الظُّلم وقع على الوِدِّ وليس على ذاتِ الإنسان ، إن فعل ذلك فإنَّه قد ظلم الودَّ الممنُوح ولم يظلم نفسه، صورةٌ تعبيريةٌ مبتكرة من الشَّاعر تُبيِّن ضرورةَ السَّيطرة على مشاعرنا، ومحاولةِ ضَبطِها، لكي يبقي جزءٌ منّا على شاطئِ البرِّ والأمان، ولا نُبحر كُليّاً في الباخرة التي من المُمكن أن تغرَق في أيِّ ثانيةٍ، فإن غرِقَتْ نستطيع العودة إلى الشَّاطئ، ولا نتُوه في لُجَج المُحِيط .

وبعد انتهاء مراسِمَ دَفنِ عشقِه في قلبه التي تزامنت مع موّارة جمرة الثَّرى ، راح العُكْلي يفتحُ دفاترَ الذَّاكرة ويُقلِّب فيها، وينتقي منها أيامَ وصله وفرحه مع جمرة في محاولةً منه لتخفيفَ ألمه من خلال استحضار الماضي السَّحيق، فيقولُ :[1] [من البسيط].

شَـــطَّـتْ بِجَمْرَةَ دارٌ بَعْـدَ إلمــامِ ... نَـأيٌّ و طُولُ بِعــادٍ بَيْنَ أقْوامِ [2]
حَلَّـتْ بِتَيمــاءَ فـي قَوْمٍ إذا اجْتَمَعُوا ... في الصُّـــبْحِ نَـادَى مُنـادِيهم بِـأشْـــآمِ
وقَـدْ لَهَوتُ بِهــا و الـدَّارُ جـامِعـةٌ ... بِــالخرجِ فــالنَّهيِ فــالعَوْراءِ فــالـدَّامِ
كَــأنَّ جَمْرَةَ أو عزَّتْ لَهــا شَـــبهــاً ... في العَيْنِ يَوْمَ تَلاقَيْنــا بِــأَرْمــامِ

ومن الجدير بالملاحظة أنَّ تقلُّب إيقاع الزَّمن بين الجَّدب والخصب، و بين حِلِّ الحبيبة وتِرحالِها، و بين الوصل والهجر يجعل حياة الجَّاهلي مُتأجِّجة دائماً بين قُطبَي التَّعارض، فتُتَرجم هذه الحالة عَبْرَ شعره، وغزلِه، والأطلال عندما مرَّ على ذكرِها، ثُمَّ إنَّ تِعداد الأماكن عادةٌ درج عليها العرب، وترتَبط بالمَدلول المَأساوي للغياب، فكان الشَّاعر يتمسَّك بالمؤاضِع التي وطئها؛ بحثاً عن السَّعادة التي عاشها في فترةٍ من الفَترات، لذلك نجد النَّمر يذكُر بعض الأماكن (الحوراء _ الدام _ تيماء)، ونلحظ التَّصعيد العاطفي الذي تميَّز به عندما عَكَس لنا مأساةَ الفراغ والزَّوال، وهذا جعل أبياته كُتلةً وجدانيةً تنبضُ عاطفةً وترشح مشاعراً مُرهفة، وقد تدَّرج شاعرُنا من فراقِ جمرة والحديث عن أيامِ وصله لها والأيام التي جمعته بها فكانت له الدَّواء الذي يُشعره بالمرض، فيعود إلى هذا الدَّواء مرَّةً أُخرى عَلَّه يشفى فيمرض ، وهكذا يدورُ في حلقةٍ مُغلقة .

خاتمة ونتائج :

سافرنا خلال بحثنا برحلةٍ لطيفةٍ إلى أحد العصور القديمة (العصر الجاهليّ)، عرفنا فيها أنَّ المرأة قد تبوَّأت مكانةً عظيمةً في حياة الرَّجُل، وكان لها حضورٌ قويٌّ في دواوين الشُّعراء؛ إذ يصعُب أو يستحيل أن نقرأ ديواناً

[1] الديوان ، ص 126.

[2] شطَّت: بَعُدت/*تيماء: من نحو بلاد طي ،يريد هنا :أنهم إذا ارتحلوا أخذوا نحو الشام فازدادوا بُعداً عني/* الخرج : قرية من قُرى اليمامة ، العوراء ،الدام : أسماء أماكن.

ما ولا نجد فيه أثراً للغزل والنَّسيب، فالمرأة هي مُلهمة الشُّعراء للشِّعر، مُحبِّبة البطولة للأبطال، ودائماً نلقاها مُعتزّة بكرامتها وشخصيَّتها، آسرةً للألباب، ساحرةً للعقول برقَّتها وحُسْنِها .

وقد حاولنا في البحث التَّعريف بالغزل، وإزالة اللِّبس عن مرادفاتها واختلاف دلالاتها (الغزل_ النّسـيب _ التَّشبيب) بذكر آراء الأقدمين والمُحدثين الذين كان لهم آراءٌ مختلفة ، ورجَّحنا أنَّ لكلِّ مفردةٍ دلالتها الخاصَّة، ثم تحدَّثنا عن مكانة المرأة، والشِّعر، والغزل في العصر الجَّاهلي، ومررنا على الوشائجِ القويَّة التي تربُط الغَزل بالعَاطفة الإنسانيَّة الأسمى وهي عاطفةُ الحُب .

أمَّا القسم التَّطبيقيّ للبحث عرّفنا فيه بشاعرٍ جاهليٍّ مغمور وهو النَّمر بِنْ تَوْلَب العُكْلِيّ، الذي لم يُتَنَاول بالدِّراسة والنَّقد والتَّحليل من قبل، واستقرأنا ديوانه وانتقينا منه الأبيات التي تُلائِم غَرَضَ البحث ومِحوَره (الغزل)، وخلص البحث إلى النَّتائج الآتية :

1- ديوان العُكْلي خالٍ من المُغامرات الحسيَّة مع النِّساء التي اشتهر بها بعض شعراء الجاهليّين ، واكتفى بالمرأة التي أحبَّها و هجرته (جمرة) ، والمرأة التي تزوّجها بعدها (دعد) ، فكان غزلُه عفيفاً صادقاً يرشح عاطفة ، وظلَّ عرض المرأة في شعره الغزلي مُصاناً لا عيب فيه، ولا دنس، إذ لم يتطرَّق للغزل الفاحش الذي يتم التَّعرُّض فيه لمفاتن المرأة الجَّسديَّة .

2- آثر الشَّاعر سعادة المَحبُوبة ورضاها على سعادته ورضاه ، عندما رَضِي بما حدث أمام عينيه من خلفها لوعدها، وذهابها لمنزل بعلها الأوَّل، وتركه وحيداً يُعاني فقدها .

وأخيراً إنَّ الأدب العربيَّ بحاجة إلى أن يُدرَس بأسلوبٍ جديد يكشِف عن دُرَرِه؛ إذ يجب أن يُدرس على أنَّه مصدر لفهمِ الحياة العربيَّة وتصويرها في شتَّى نواحيها ، وقد درسنا الغزل على وجه الخُصُوص، لأنَّه ذو قيمٍ عظيمةٍ و لما له من ارتباطٍ قويٍّ بالعاطفة الإنسانيَّة ، وعلى سبيل تضييق دائرة الخُصوصيَّة أكثر تناولنا الغزل في العصر الجَّاهليّ الذي يُعدُّ أصدق فنون الشِّعر وأجدرُها بالدِّراسة؛ لأنَّ الغزل الذي جاء بعده كان صدىً له ومحاولاتٍ للسَّير على نهجِه مع بعض محاولاتِ التَّجديد.

ثبت المصادر والمراجع

1- الأغاني ، أبو فرج الأصفهانيّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط2 ، ج 22 ، 1991 م.
2- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجيّ ، القاهرة ، ط7، 1998.
3- تاريخ الأدب العربيّ ، أحمد الإسكندري وأحمد الأمين ، المطبعة الإسلاميّة بالقاهرة ، 1953.
4- تطوّر الغزل بين الجاهليّة و الإسلام، شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1959م.
5- ديوان النّمِر بن تولب العكليّ، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 2000
6- شرح ديوان الحماسة، التبريزيّ، تح: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، القاهرة ، ط1، 2000.
7- الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار الحديث ، القاهرة ، 2002 مـ .
8- طبقات فحول الشّعراء، محمد بن سلاّم الجمحيّ، تمهيد للناشر الألماني جوزف هِلْ مع دراسة عن المؤلف والكتاب للأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلميّة ، بيروت-لبنان ، 2001 م .
9- العرب في العصر الجاهليّ ، ديزيره سقال، دار الصداقة العربيّة ، بيروت ، ط1 ، 1995م.
10- العصر الجاهليّ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط.8 ، د.ت .
11- العُمدة في صناعة الشِّعر ونقده، ابن رُشيق القيروانيّ، تح : النبوي عبد الواحد الشعلان، مكتبة الخزرجي، القاهرة ، ج1، ط1، 2000م.
12- الغزل في العصر الجاهليّ ، أحمد محمد الحوفيّ ، مكتبة نهضة مصر ، ط1 ، 1950 م.
13- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، مج : 4 ، 1997 .

المصادر الأجنبية :

1-A Literary History of The Arabs ، by Nicholson .London .1907..

2-Texts and Pre texts .by Aldous Huxley .Phoenex .1935..

المواقع الالكترونية :

https :ll WWW.noor –book.com l tag l

الزواج-عند-العرب-في-الجاهلية ، 2022/8/12 م ،الساعة :10 صباحاً.

Spinning in pre-Islamic poetry
"Al-Nimr bin Tulab Al-Akli as a model"

Dr.Mohammad Masoud1

□ ABSTRACT □

Literature - whether it was poetry or prose - is a true picture of the life of societies. If we want to know the history of a nation and the course of its events, we must look at its literature, taste it, and analyze its dimensions.

And since the pre-Islamic era was considered one of the eras in which literature and poetry were a true image of society, far from affectation, artificiality and imitation, the desire to delve into the abyss of pre-Islamic poetry and study a poetic purpose was one of the most influential purposes for the recipients, regardless of their inclinations and whims. And we chose an obscure poet who did not take his right in the study and analysis, especially the art of spinning with him and its place in the poet's soul, and for this reason the research came marked with spinning in the poetry of Al-Nimr bin Tulip Al-Akli. and its implications; It is considered the truest art of poetry and most worthy of study, because the ghazal that came after it was an echo of it and attempts to follow its path with some attempts at renewal.

[1] Faculty of Arts and Human Sciences -Department of Arabic Language -Al-Furat University